



ناصر قنديل

حديث الجمعة يبدأ بسبعة صباحات بين العواصف والعواطف والمواقف، وثلاث مرّات «قالت له»، ويمضي إلى «كلام في الرياضيات» حيث السلوك الإنساني في معايير سلم القيم والاندفاعات العفوية، لينتهي به«المختصر المفيد» عن الرئيس الروسيّ صانع السياسات في القرن الواحد والعشرين.

قالت له

بين الخيانة والوفاء

قالت له: كيف تصف الخيانة؟ فقال لها عندما تكثر إنباتات الوفاء. فقالت: ربما الحب دافعا. فقال: الحب لإنبات فيه والخيانة فعل لا يرتكبه إلا من نعتبره الحبيب والإصارت فعل مصلحة باردا يرتكبه أصحابه بحق الوطن أو الجسد، ويفرحون في سزمهم في ما يعتبرونه شطارة. بينما الخيانة تقع في القلب، وأصحاب الأفعال الباردة لأقلوب لهم كي يشعروا، وكلنا نخون لكن بمقدار، إمّا نملك من الخبث ما يكفي لتقيم في داخلنا التسويات ونوجد الميزرات. فالكذب البيضاء في النهاية كذبة نزيّتها بنيتة بيضاء. كلما أحسننا أننا نضيف أوصافا للفعل المجرّد ننقّ أننا نفعل أمرا نخجل في دواخلنا به. لولا هذه الأوصاف كالكذب قبل وصف بيضاء، والإرتماء بفرح في حزن موج عاصف والقول إنها الحياة. ويجب أن نصل أو نقطع سلة ليومن من يستأن الجيران. والقول إنها لن تقدم ولن تؤخر في غلال البستان. وحده التشارك في الياسمين لا يحتاج إلى إضافة، كما يسقط الشهداء واقفين، فنزف الدم ويوح العطر أفعال تصف ذاتها وما عداها صواب يحتمل الخطأ أو خطأ يحتمل الصواب... خيانة فيها بعض وفاء لتستقيم مع ذاتنا أو وفاء فيه بعض خيانة كي يستقيم مع الخارج. فقالت: لعلك لم تفهم أنني أخونك معك ومعك وحدك، كما أخون وطني مع وطني... وضمت.

من أنت ومن أنا في الحب؟

قالت له: أتحنيني؟ إلى أيّ مدى؟ فقال: إلى الحدّ الذي تتحوّل فيه عفراتك إلى تجارب وخبرات، وأخطأك إلى محاولات نبيلة لإقناع ما يمكن إقناعه، وانفعالات الغضب إلى حق مشروع بأنبات الرأي وشجاعة في قول الموقف. وتتحوّل محاولاتي للإيضاح إلى اعتداء صارخ بلاميزر، وتعبيري عن الضيق من الغضب الجامح إلى تقييد لحريّة الرأي، وانتقادي الأخطاء إلى تعجرف بلا صفة. فقالت: لكنني أحبك إلى الحدّ الذي أحبّ فيه الصمت لأتملأ وجهك وأمسك يديك ولا ارتكب آيا من حماقاتي البريئة، بقبلة أو لمسة أو همسة، لأقول لك كم أنت جميل في حياتي، وكم أنا مضطرة لأكون بعيدة عنك. فقال لها: الحب كاصطدام قطارين متعاكسَيّ الاتجاه، ومضة تكفي طاقتها لصهر الحديد، فلا تخافي على الحب من نفسك، بل تحسّني على نفسك من الحب. أما أنا فقد جلست في قاعة الانتظار وأنت في صالون الشرف، وبيننا صفوف من المراسم تمنع حتى التقاء العينين. فهل تحاولين اكتشاف الفرق بين الذاكرة والعين وتعطيني أحدهما؟ لأنّ الجمع مستحيل. فقالت: أمهك عيني وأسرق ذاكرتك. وقطعت تذكرة الذهاب إلى ديار بعيدة.

بين الحب والصدقة

قالت له: أتعلم ما أصعب من اللاحق؟ قال: اللاهتاهم الكرم!

قالت: أبدا، الخوف من الاعتراف بالحبّ. كتمه كمولد لا يرغب فيه والده؛ إيقاؤه حبس سرداب مظلم وعميق، يضيق عليه كلما كبر ويشوّه معالمه. لا لئذنب إلا لئنه ولد لقلبين أثر التباهي بصدائقيهما عن الاعتراف بحبيهما. قال لها: إن ما يجمعنا أعظم من أن نقرظ له للحبّ أو الغرام. فأننا لا نستطيع تخيل حياتي بلا وجودك فيها. والحبّ مشاعر تحتمل التبدل والتغيير، أما الصدقة فهي للمعمر كاملا.

قالت: عن أيّ صداقة تدافع؟ صداقة تزاد فيها ساعات الصمت يوماً بعد يوم، صداقة لا تسمح بالإجابة الحقيقية على جملة كيف الحال؟ تجاه لنقي معا ولكن تحت المسعى الخاطي.

فقال: من السهل على الأصدقاء الوقوع في الحب؛ لكنه من المستحيل لحبيبين العودة إلى الصداقة. وأنا لن أتخطئ عن وجودك فانت أغلى ما أملك. قالت له: أكره أنصاف الحول وشاهد المواقف. الوجود إمّا أن يكون حقيقيا ملموسا، أو هي الضرورة للرحيل. فالطريق تجزأت بالسبر عليها لا بالنظر إليها؛ الآن عليك الاختيار بين توقيع شهادة ميلاد حينا أو البدء بقرع طبول الحرب على صدائقتنا. صمت طويلا ثمّ قال: إذا فأشهد، إنني أعلنت الحبّ عليك.

رانيا الصوت

صباحات



تحتمل ضمناً نوعاً من العبودية، وحرية الأوطان التي تنشئ للمواطنين فضاء حرياتهم الفردية، تتكون بتنازلهن الضمني عن أجزاء من حرياتهم الفردية، للانضباط بقوانين دولة الوطن، وما في ذلك من عبودية مضمرة. وهكذا، في الحب حرية الروح وعبودية العقل أو العكس أحيانا. فمن آزاد الحرية كلها وقع في عبوديات متعدّدة. ونصف حرية ما نصف حرية لا يصنعان حرية كاملة، بينما نصف عبودية للوطن ونصف عبودية في الحب يصنعان حرية كاملة.

2014-12-18

الصباح الذي يقدر الليل

- انتبه الصباح أن الليل يسحب خطباً من خيوطه موحياً بالانسحاب، ثمّ يمّد قدمه للبقاء. فسأله عن السبب. أجاب الليل أنه يعرف أن وقت الرحيل قد حان، لكنه متردّد بالذهاب. فمّمه ما يقول له أن يبقى وما يدعه لأن يرحل. فقال الصباح: هل العقل يدفعك للرحيل؟ قال الليل: نعم، كي ارتاح وأكون منسجما مع نظام هو دورة حياتي. فقال الصباح: إذا القلب يريد البقاء. فخجل الليل وقال: وربما يعلم أن البقاء ليس طويلاً، لكنه يثبر في التردّد. فقال الصباح: أبق ما شئت ولا تتبع قلبك، فالقرار الذي يمليه العقل ولا يتخسّس القلب في تطبيقه، فيه من الخطأ بقدر ما فيه من الصواب، لأنه أخذ كل العوامل في القرار. إلا أنت وقلبك، أتبع القلب حتى يصحو العقل ويصادق على قراره، أو يتعب القلب ويقرّر تلبية العقل بالرحيل.

بوتين يرسم العالم بعد تشرين

بروسيا. ويرسم بوتين معادلة أمن روسيا من أمن سورية وإيران، ليقول: سنقول لأصدقائنا السوريين والإيرانيين: ويسأل: لو أردنا هذا الحق وقرّرنا انتزاعه، فذلك يعني أننا سنواجه منفردين وندفع كامل كلفة إضعاف أميركا، حتى تسلم بأن هزيمتنا مستحيلة، وأننا لا نديس من رسم الأهداف للسياسة الخارجية للدولة العظمى روسيا، يضع المصادقة والأخلاق استثماراً في سياسة بلاده الخارجية، فيقول إن البعض يظنون أن السياسة مجرد مصالح، والصحيح أنها صون المصالح. ومصحة روسيا بنيل حقها في مكانة الدولة العظمى كاملة الشراكة، وهذا يستدعي أن تقرّر معياراً لحلفائها الذين تقرّر التشارك معهم في تقاسم الأكاليف والأعباء لمسيرة التضحيات حتى بلوغ الحقوق. وأن تقرّر المعيار الذي ستعتمده لسولوكها كدولة عظمى لتكون لديها مكانة عظمى. والمعيار يجب أن يحترم حتى تحترم المكانة وينمو الدور وترتسخ المرجعية. فالدولة العظمى التي لا تتحوّل بين دول العالم إلى مرجعية لا تعني مكانتها شيئاً، والمعيار الذي يحقق مصلحة روسيا ويصونها في تحديد شركائها، يتمثل باستقلال الدول وسيادتها. لأن الهيمنة الأميركية التي تريد إذلال روسيا تقوم على تحقيق مصالحها بإذلال الدول وإخضاعها، من باب انتهاك سيادتها وإخضاع قرارها المستقل. وكل الدول التي تشاطر روسيا الإحساس بقيمة الكرامة الوطنية وتدافع عن قرارها المستقل، تشكل من جهة حليفاً يمكن التفوق به، وتمنح روسيا سندا يمكن الاعتماد عليه. لكن

روسيا القوية لا تملطن. ● في هذه الحرب، يتوجّه بوتين إلى النخب الروسية ويسأل: لو أردنا هذا الحق وقرّرنا انتزاعه، فذلك يعني أننا سنواجه منفردين وندفع كامل كلفة إضعاف أميركا، حتى تسلم بأن هزيمتنا مستحيلة، وأنا لا نديس من رسم الأهداف للسياسة الخارجية للدولة العظمى روسيا، يضع المصادقة والأخلاق استثماراً في سياسة بلاده الخارجية، فيقول إن البعض يظنون أن السياسة مجرد مصالح، والصحيح أنها صون المصالح. ومصحة روسيا بنيل حقها في مكانة الدولة العظمى كاملة الشراكة، وهذا يستدعي أن تقرّر معياراً لحلفائها الذين تقرّر التشارك معهم في تقاسم الأكاليف والأعباء لمسيرة التضحيات حتى بلوغ الحقوق. وأن تقرّر المعيار الذي ستعتمده لسولوكها كدولة عظمى لتكون لديها مكانة عظمى. والمعيار يجب أن يحترم حتى تحترم المكانة وينمو الدور وترتسخ المرجعية. فالدولة العظمى التي لا تتحوّل بين دول العالم إلى مرجعية لا تعني مكانتها شيئاً، والمعيار الذي يحقق مصلحة روسيا ويصونها في تحديد شركائها، يتمثل باستقلال الدول وسيادتها. لأن الهيمنة الأميركية التي تريد إذلال روسيا تقوم على تحقيق مصالحها بإذلال الدول وإخضاعها، من باب انتهاك سيادتها وإخضاع قرارها المستقل. وكل الدول التي تشاطر روسيا الإحساس بقيمة الكرامة الوطنية وتدافع عن قرارها المستقل، تشكل من جهة حليفاً يمكن التفوق به، وتمنح روسيا سندا يمكن الاعتماد عليه. لكن



مختصر مفيد

- منذ أكثر من ربع قرن، وقف المقدّم فلاديمير بوتين، قائد وحدة حماية السفارة الروسية في برلين الشرقية، بسلاحه الفردي، يتصدّى لقطعان هائجة وجهتها الاستخبارات الأميركية لالتحام السفارة الروسية بعد سقوط جدار برلين، لإللال روسيا والنيل من أمانتها وهيبتها. وتكفل بومهايو بوتين بولطيقته العالية وفروسيته الشجاعة، بصد الحمايل وحده، من خلال إطلاق عدة طلقات فوق رؤوس المهاجمين.
- بوتين هو الذي قال قبل أشهر قليلة إن كل مواطن روسي، بمعزل عن موقفه من العقيدة الشيوعية، وطني بالمهانة والذل، ولم ينم ليلاه يوم تفكك الاتحاد السوفياتي. وتكرر الشان نفسه يوم سقوط براغ بعد تدميرها بطائرات حلف الأطلسي، مع أحداث يوغوسلافيا السابقة، أن كل روسي شعر أن الرسالة كانت يومذاك إذلالاً لمكانة روسيا وهيبتها.
- بوتين هو الذي قال في الاجتماع الذي ضمّ السلك الدبلوماسي الروسي مطلع الصيف الفائت، أن كل روسي يجب أن يقتنع بأن بلاده تملك بعباس الدول الأخرى من مساحة أرض وعدد سكان وثروات باطنية واقتصاد وطني وقدرات عسكرية، ما يعطيها الحق الكامل لأن تحتل مقعداً مقررّاً حاسماً في مصير العالم. وإنّ الذين يتشاركون معها في هذه الصفات، يساؤونها. وهم بين دول الغرب أميركا وحدها، لأن سواها ليس لديها ما لدى روسيا، ولذلك تقبل روسيا من أميركا وحدها بين دول الغرب أن تعاملها بنديّة، وكيف يمكن أن تقبل هي بمعاملة أميركا لها بمعاملة لا تقوم على هذه النديّة. وكل روسي يدرك هذه الحقائق، يجب أن يعرف أنه يرتضي الذل والهوان عندما يقبل التخلي عن هذا الحق الروسي.
- بوتين قال في الاجتماع نفسه، إن انتزاع هذه المكانة دونة تضحيات، على الروس أن يرضوا بها إذا أرادوا أن يعيشوا العنقوان ذاته الذي عاشه أجدادهم أيام القيصريّة وأيام الاتحاد السوفياتي. ولو لم يقبل الأجداد بدفع ثمن هذه المكانة وهذا العنقوان بتضحيات جسام، لما تسنّ لهم أن يعرفوا هذه العزّة وتلك الكرامة.
- الحرب وبقا رؤية بوتين، هي مع أميركا التي تعلن الحرب على روسيا. لأنها تريد من روسيا التخلي عن هذا الحق، ولذلك كلما تقدمت روسيا نحو حقلها بنات، زادت الضغوط والإجراءات معاً. لكن الإجراءات عامل مؤقت لحين تتخلى روسيا عن حقلها فتزول الإجراءات. ولذلك يجب الاحتدعنا العروض التي تقول: خذوا هذه المكاسب وأنسحبوا من دوركم، فهي مجرد رشوة ستنتهي بعد أن يستتب الأمر للأميركيين، فيستديرون نحو روسيا لإضعافها. لأنهم يعرفون أنها تدافع عن حق، وإذا تخلى عنه حاكم فلأنه حقّ أمة حية سيأتي من بعده من يتحرك لاسترداد هذا الحق. ومنعاً لذلك، لن تتواني أميركا عن إضعاف روسيا حتى لو خنعت للمشيئة الأميركية لأن